خطبة صلاة الجمعة 8/ 4/ 2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الجود عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِني مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أخلاقاً**».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» وفي رواية البزار «**مكارم الأخلاق**».

هذه الخطبة السابعة والعشرون في سلسلة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها: (أخلاق النبي ﷺ، وكيف نتحلّى بها).

وبما أننا في رمضان فسأختار أخلاقاً للنبي ﷺ نحتاجها في الأوقات عامة ونحن لها في رمضان أحوج، فستتحدث خطب رمضان بإذن الله عن الجود والإحسان وتقديم النفع والقناعة.

عنوان خطبة اليوم: **الجود عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به.**

الجود لغة كثرة العطاء، أو هو صفةٌ تحمل صاحبها على بذل ما ينبغي مِن الخير، مالاً كان أو عِلماً، والجواد: هو الذي يعطي بلا مسألة؛ صيانة للآخذ مِن ذلِّ السُّؤال

والجود من صفات المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: 3].

وضده الشح الذي يعني البخل مع مزيد من الحرص، والشح ليس من صفات المؤمنين، قال رسول الله ﷺ: «...**ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً**» [النسائي] قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح: أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا**» [سنن أبي داود].

والجود من أخلاق النبي ﷺ، أخرج البخاري ومسلم عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**كان رسول ﷺ أحْسن النّاسِ، وأجْود النّاسِ، وأشْجع النّاسِ**».

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة.

وإذا كان حديث اليوم عن الجود عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بذلك، فإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة.

1-روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل- وهو صفوان بن أمية - فأعطاه غَنماً بين جبَلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلِمُوا، فإن محمداً يعطي عطاءَ من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجلُ لَيُسْلِمُ ما يُرِيد إلا الدنيا، فما يلبثُ إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها»

في مغازي الواقدي: أن صفوان طاف مع النبي ﷺ يتصفح الغنائم يوم حنين إذ مر بشِعب مملوء غنماً وإبلاً فأعجب صفوان وجعل ينظر إليه، فقال رسول الله ﷺ: أعجبك يا أبا وهْب هذا الشعب؟ قال: نعم. قال: هو لك وما فيه. فقال صفوان: أشهد أنك رسول الله، ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نبي.

وفي حديث مسلم عن صفوان قال: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي».

هذه صورة من صور الجود عند النبي ﷺ، يكثر العطاء يتألف الناس للإسلام.

2- أخرج البخاري وغيره عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأة ببردة، قال: أتدرون ما البردة؟ فقيل له: نعم، هي الشملة، منسوج في حاشيتها. قالت: يا رسول الله، إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجا إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فقال رجل من القوم: يا رسول الله، اكسنيها. فقال: نعم.

فجلس النبي ﷺ في المجلس، ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إياه، لقد علمت أنه لا يرد سائلا. فقال الرجل: والله ما سألته إلا لتكون كفني يوم أموت. قال سهل: فكانت كفنه.

إنها صورة من صور الجود وسماحة النفس عند رسول الله ﷺ إذ يجود وتسمح نفسه بما أحب.

3- أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ألله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ، فتبسم حين رآني، وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: (يا أبا هر). قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (الحق). ومضى فاتبعته فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخل فوجد لبنا في قدح، فقال: (من أين هذا اللبن). قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: (أبا هر). قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي). قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني، فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: (يا أبا هر). قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (خذ فأعطهم). قال: فأخذت القدح، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إلي فتبسم، فقال: (أبا هر). قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (بقيت أنا وأنت). قلت: صدقت يا رسول الله، قال: (اقعد فاشرب). فقعدت فشربت، فقال:

(اشرب). فشربت، فما زال يقول: (اشرب). حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكا، قال: (فأرني). فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة.

إنها صورة من صور الجود عند رسول الله ﷺ وصورة من صور بركته ﷺ، إذ يجود بما عنده ويبارك الله فيه.

والحاصل – أيها الإخوة- أن الجود كان خلق النبي ﷺ وكان معروفاً به، والمتوقع أن يكون الجود خلقك وأن تكون معروفاً بذلك.

- ذكر أهل الشام عن الشيخ سليم المسوتي رحمه الله، الذي كان من كبار المشايخ المعلّمين الصالحين كان يوماً في رمضان وكان مجلسه قريباً من باب الدار، وكانت مائدة الإفطار قد أُعِدّت ودنا المغرب، فقرع البابَ فقيرٌ يسأل ويقسم أن أهله في البيت صيام وليس عندهم شيء يؤكَل، فتلفّت فلم يجد حوله أحداً من أهله، فتناول طبقاً وبعض الخبز فوضعها جانباً وقال له: احمل هذا كله. فحمله فذهب به، ودخل النساء فلم يجدن الطعام، فسخطن وصِحْن عليه وتكلّمْنَ كلاماً شديداً، وهو صامت. وضرب المدفع وأذّن المؤذن من جامع التوبة، فإذا الباب يُقرَع، وإذا بألوان الطعام من الحارّ والبارد والحلو والحامض تدخل عليه! وإذا القصّة أن سعيد باشا شمدين، أحد كبار الوجهاء، كان قد دعا ضيوفاً فلم يحضروا، فأمر بحمل الطعام كله إلى دار الشيخ. فقال: أرأيتن مكافأة الصدقة؟

من أنفق أنفقَ الله عليه، ومن بذل ما عنده أعطاه الله مما عنده،

ويحب الإسلام من أتباعه أن تكون نفوسُهم سخية، وأكفُّهم ندية.

- أودع شاب عند والدته ستَمائة وثلاثين ألفاً -هي كل ما جمع في حياته- يريد أن يشتري بها سيارة لنفسه، فلما نزل بالبلد ما نزل كان مسافراً ففرقت الحرب والأزمة بينه وبين أهله، وجعل أهله يتنقلون من قرية لأخرى ومن بيت لآخر، وبعد سنتين من الفراق اجتمع بأسرته سالمين، وبعد اطمئنان أمه عليه بكت واشتد بكاؤها، فراح يخفف عنها ويؤكد لها سلامته، فقالت إنها تبكي لأنها أنفقت ما أودع عندها من مال مضطرة إليه لدفع آجار المنازل التي سكنوها، وإنها ستجتهد في قادم الأيام أن تعيد له المال.

فارتمى على قدميها باكياً يحلف أنه لن يأخذ منها شيئاً وأن الله فضّل عليه بسلامتها وإخوانه وأخواته وأن الله سيعوضه. فدعت الله تعالى له أن يعوضه الله عشرة أضعافه.

وبعد سنتين ادخر مليون ليرة من عمله ونزل مع صديقه لسوق السيارات لشراء سيارة بسيطة تناسب ما يملك، فوجدا على باب مكتب السيارات سيارة فارهة فمازحه صديقه قائلا إنها سيارة تليق به، فتمنى ذلك ولكنه لا يملك إلا المليون، وخرج صاحب المكتب ليسألهما عن طلبهما فأخبراه وسألهما عن حديثهما لبعضهما فقال له صديقه ما قال له.

فأصر صاحب المكتب أن يركب الشاب السيارة ويجربها فاعتذر الشاب لأنه متأكد أنه لا ولن يملك ثمنها

فألحّ صاحب المكتب، فلما ركب الشاب السيارة حلف صاحب المكتب أنه لا ينزل منها حتى يوافق أن تكون سيارته وأن المكتب سيأخذ المليون دفعة أولى وسيقسط له ما بقي أقساطا من دون فوائد.

عجب الشاب من ذلك ولما نزل لكتابة العقد وأخبره صاحب المكتب بثمنها بكى وعلا صوت بكائه.

لقد كان ثمنُ السيارة ستةَ ملايين وثلاثمائة ألف ليرة سورية وهو عشرة أضعاف ما بذل لوالدته وأهله، وهو بالضبط ما دعت له به أمه.

يقول لي هذا الشاب وأكرمني الله وقضى عني الأقساط وبارك لي في مالي.

من أنفق أنفق الله عليه، ومن بذل ما عنده أعطاه الله مما عنده، ويحب الإسلام من أتباعه أن تكون نفوسُهم سخية، وأكفُّهم ندية.

– روى الإمام الذهبي في ترجمة حماد بن أبي سليمان الكوفي قال: كان حماد ذا دنيا متسعة، وكان يفطر في شهر رمضان خمس مائة إنسان، وكان يعطيهم بعد العيد لكل واحد مائة درهم.

وعن الصلت بن بسطام، عن أبيه، قال: كان حماد بن أبي سليمان يزورني، فيقيم عندي سائر نهاره، فإذا أراد أن ينصرف، قال: انظر الذي تحت الوسادة، فمرهم ينتفعون به فأجد الدراهم الكثيرة.

من أنفق أنفق الله عليه، ومن بذل ما عنده أعطاه الله مما عنده،

ويحب الإسلام من أتباعه أن تكون نفوسُهم سخية، وأكفُّهم ندية.

أيها الأخوة:

مما يساعد على التحلي بخلق الجود والكرم:

أولا: تذكر ثواب الإنفاق كما في القرآن والسنة، وتذكر وعد الله تعالى بالتعويض على المنفق.

ثانيا: قراءة سير أهل الجود والكرم وصحبتهم.

ثالثا: البدء بالإنفاق في سبيل الله تعالى ولو بالقليل.

أيها الإخوة:

أكثروا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ فإنه من صلى عليه صلى عليه ومن سلم عليه سلم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه ﷺ وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.

والحمد لله رب العالمين